

من مسائل البلاغة في بعض كتب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.

تاريخ قبول المقال للنشر 2017/05/11

تاريخ استلام المقال: 2016/10/27

د. مبارك بلالي*

كلية الآداب بجامعة أدرار - الجزائر

البريد الإلكتروني: mebarekblali@yahoo.com

ملخص :

تتناول هذه السطور جانبا من جوانب اللفظ القرآني هو: الوجوه المتعددة التي يدل عليها اللفظ الواحد، و المعنى الواحد الذي تدل عليه ألفاظ متعددة و هو ما عُرف بين علماء العربية ب: الوجوه والنظائر، ويبحث هذا الموضوع تحديدا في مباحث البلاغة في كتب الوجوه والنظائر في القرآن، من حيث توظيف المعطيات البلاغية في بيان أوجه دلالة اللفظة القرآنية؛ فقد عرضت تلك المؤلفات إلى بعض قضايا البلاغة كالمجاز بأنواعه، وأسلوب الاختصار، وما يتصل بهذه المباحث البلاغية من قضايا نحوية وصرفية.

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم - علوم القرآن - البلاغة - الدلالة - الوجوه والنظائر.

Résumé:

L'objet de ce papier est l'étude de l'un des aspects de la parole coranique: la polysémie (le multi-sens d'une seule parole) et les homonymes ; (les mots qui ont la même forme orale et/ou écrite mais des sens différents); qui est connu par les savant de la langue arabe par : les multiformes des mots et les isotopes. Ce thème étudie d'une manière spécifique les questions de la rhétorique dans les livres des multiformes des mots et les isotopes dans le Coran, en termes de l'emploi des aspects rhétoriques pour montrer les sens des paroles coraniques, ces livres ont présentés quelques questions de rhétoriques comme Elmajaz « sens figuré », et autres questions grammaticales liées aux questions rhétoriques.

Mots-clés:

Le Coran - sciences coraniques -la rhétorique -la signification -les multiformes des mots et les isotopes.

* باحث مهتم بالدراسات اللسانية والاجتماعية .

مقدمة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد،
فإن القرآن الكريم خير ما تنفق فيه الأوقات، وخير ما تبذل فيه الجهود، ذلك أنه
خطاب الله الخالق العظيم، الخطاب الخاتم للناس أجمعين، تضمن بين دفتيه الشريعة والمنهاج الذين
يضبطان حركة الإنسان في هذه الأرض تحقيقاً للخلافة ونهوضاً بأعبائها.
وجعل الله سبحانه وتعالى اللغة العربية وعاء وحيه المنزل على خاتم رسله محمد صلى الله
عليه وسلم، فجاء القرآن الكريم - خاتم الكتب السماوية - جاريّاً على لسان العرب بحسب
أساليبهم في القول وفنونهم في البلاغة، متسماً أعلى ذراها، ومتبوعاً المكانة العليا والغاية العظمى
التي ليس بعدها غاية.

وقد فقه المفسرون عامة، وعلماء "الوجوه والنظائر" على وجه الخصوص سمات هذه
اللغة القرآنية المتفردة في أنساقها اللغوية، وأساليبها البلاغية، وخصائصها الدلالية، فانبروا يبحثون
تلك الأنساق والأساليب والخصائص، من خلال النظر في أحوال الألفاظ القرآنية والبحث في
وظائفها الدلالية وإمكاناتها البلاغية والإبلاغية، التي تكون لها في السياقات اللغوية المتعددة التي
ترد فيها.

وتهدف هذه السطور إلى تتبع تلك الإسهامات اللغوية - والبلاغية منها خصوصاً -
لدى علماء "الوجوه والنظائر" والوقوف على جوانب توظيف مباحث البلاغة في دراسة تلك
الطائفة من الألفاظ القرآنية؛ ألفاظ "الوجوه والنظائر".

يستمد هذا الموضوع أهميته من حيث هو موضوع لغوي قرآني، يدخل في نطاق
الدراسات التفسيرية لألفاظ القرآن الكريم بعامة، ويتخصص ببحث ألفاظ "الوجوه والنظائر"، في
طائفة من عيون كتب "الوجوه والنظائر"، ككتاب "الوجوه والنظائر" في القرآن الكريم للعلامة
مقاتل بن سليمان البلخي، وكتاب "ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد" لأبي العباس
المبرّد، وكتاب "الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز" للإمام حسين الدامغاني، وكتاب "نزهة
الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" للإمام الحافظ عبد الرحمان بن الجوزي، وغيرها من
المصادر التي بحثت هذا النوع من الألفاظ القرآنية.

اشتملت خطة الموضوع على ثلاثة مباحث؛ تناول المبحث الأول منها: الوجوه والنظائر
في القرآن الكريم تعريفها، أهميتها، والتأليف فيها وذكر نماذج عنها.

وأما المبحث الثاني: فتناول المسائل البلاغية في كتب "الوجوه والنظائر"، وحاول تبين ذلك باختيار بعض ألفاظ "الوجوه والنظائر" في القرآن.

وأما المبحث الثالث: فتناولنا فيه الدلالة المجازية في ألفاظ "الوجوه والنظائر" في القرآن الكريم، وذلك باختيار بعض منها، وإجراء الدراسة عليه. وفيما يلي بيان ذلك:

المبحث الأول: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم تعريفها، أهميتها، ونماذج عنها.

1- تعريف الوجوه والنظائر.

جاء في لسان العرب لابن منظور: «...وفي الحديث: أنه ذكر فتنا كوجوه البقر أي: يشبه بعضها بعضا لأن وجوه البقر تتشابه كثيرا؛ أراد أنها فتن مشتبهة لا يُدري كيف يُؤتى لها»¹.

والنظائر: جمع نظير، وهو المماثل والشبيه، يقال: فلان نظير فلان إذا كان مثله وشبيهه والجمع نظراء².

وقال ابن منظور: «..النظير: المثل، وقيل: المثل من كل شيء، وفلان نظيرك: أي مثلك لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء (...). والجمع: النظائر في الكلام والأشياء كلها، وفي حديث ابن مسعود: لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صل الله عليه وسلم يقوم بها عشرون سورة من المفصل، سميت نظائر لاشتباه بعضها ببعض في الطول... والنظائر: جمع نظيرة، وهي المثل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال.. وقال الأصمعي: عددت إبل فلان نظائر أي: مثنى مثنى، وعددتها جمارا إذا أعددتها وأنت تنظر إلى جماعتها»³.

والوجوه: جمعه وجه، ومعناه في اللغة اللفظ المشترك الذي يستعمل لمعان عدة كلفظ "الأمة"، والنظائر: هي الألفاظ المتواطئة أو المتوافقة في المعنى⁴.

¹ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر احمد حيدر ومراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العملية ط1، 2005م/1426هـ)، 1129/7 (و ج هـ).

² ابن دريد، جمهرة اللغة، (الهند: ط دائرة المعارف الإسلامية) مادة (ن ظ ر).

³ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، 785/3 وما بعدها (ن ظ ر).

⁴ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ)، 102/1.

«وقيل: النظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني وضَعَفَ لأنه لو أُريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام والنظائر نوعاً آخر كالأمثال»¹.

وقد استعمل المفسرون مصطلح النظائر للدلالة على الألفاظ المختلفة لفظاً والمتفقة معنى فقالوا: الامتحان، والابتلاء، والاختبار: نظائر.

وقد تداول علماء الوجوه والنظائر مفاهيم اصطلاحية أطلقوها على هذه الألفاظ، وكان أول من عرف الوجوه والنظائر - من علماء هذا الفن - هو ابن الجوزي² في كتابه "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" حيث قال: «واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه. فإذا النظائر اسم للألفاظ والوجوه اسم للمعاني. فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر، والذي أراد العلماء بوضع كتب الوجوه والنظائر أن يعرفوا السامع لهذه النظائر أن معانيها تختلف وأنه ليس المراد بهذه اللفظة ما أريد بالأخرى»³.

ومن أيد ابن الجوزي في تعريفه هذا صاحب "كشف الظنون" حيث يقول: «ومعناه أن تكون الكلمة واحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بها في كل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في المواضع الآخر هو النظائر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه فإذا النظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني»⁴.

ويستفاد مما سبق أن الذين اشتغلوا بهذا النوع من العلوم القرآنية - من العلماء - كانوا يذكرون المعاني المتعددة للكلمة الواحدة ويستدلون على كل معنى بما ورد من آيات قرآنية، ويعتبرون كل

¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، 1/102.

² هو أبو الفرج ابن أبي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي بن محمد بن جعفر الجوزي، القرشي البكري البغدادي، الفقيه الحنبلي، الحافظ الواعظ المفسر الأديب الملقب بجمال الدين المعروف بابن الجوزي، المتوفى سنة 597هـ رحمه الله رحمة واسعة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: د. إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ط 1390 هـ)، 3/140.

³ ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، وضع حواشيه خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1421هـ/2000م)، ص 12.

⁴ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت: دار الفكر، 1402هـ)، 2/2001.

معنى من تلك المعاني وجهاً من الوجوه، فحين يشيرون إلى كلمة من الكلمات يقولون:.. وفيها أربعة وجوه أو عشرة وجوه وهكذا.

2- أهمية معرفة علم الوجوه والنظائر والتأليف فيه.

لعلم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم أهمية ومكانة بالغة عند العلماء إذ يكفي في هذا أن بعضهم يعده نوعاً مستقلاً من أنواع الإعجاز القرآني، بحيث إن الكلمة الواحدة تنصرف أحياناً إلى عشرين معنى أو أكثر ولا يوجد في كلام البشر مثل هذا.

إن فصاحة القرآن وبيانه المعجز وبلاغته الفريدة التي جعلت أرباب الفصاحة وفنون القول من العرب يعجزون عن الإتيان بمثلها والنسج على منوالها.. إن هذه الخصائص (الفصاحة والبيان والبلاغة) مثلت أهم معالم الإعجاز القرآني في التعبير والأسلوب؛ فقد كان القرآن الكريم أوسع دائرة من كلام العرب في الأسلوب، وأدق معنى منه في التعبير، وأكثر استعمالاً للألفاظ الدالة على المعنى الواحد، وأحسن بناء للفظ الواحد الدال على معان متعددة.

ومن هنا نفهم لماذا كانت تلك العناية البالغة التي أولاهها العلماء لهذا النوع من علوم القرآن، إذ إن في ذلك توسيعاً للجهاز المفهومي القرآني، الذي به تتقرر الحقائق وتقرّب أحكام الدين ويحصل به الفهم الصحيح للعقيدة، بعيداً عن الأوهام والظنون.

وقد ذكر الإمام مقاتل¹ رحمه الله في صدر كتابه "الوجوه والنظائر" حديثاً مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة»². وعن ابن عباس رضي الله عنه أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه أرسله إلى الخوارج فقال: اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم في القرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة.

وفي رواية ابن عباس قال: يا أمير المؤمنين أنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل، قال: صدقت، ولكن القرآن حمّال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً، فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق لديهم حجة³.

¹ هو مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي المفسر توفي عام 150هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، 341/5.

² الحديث عزا السيوطي إخراجاً في الإتقان إلى ابن عساكر. ينظر: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1427هـ/2006م)، 445/1.

³ ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، 446/1.

وقد أُلّف في هذا العلم كثيرون نذكر منهم:

- 1- عكرمة مولى ابن عباس¹.
 - 2- مقاتل بن سليمان البلخي² وله كتاب "الوجوه والنظائر في القرآن الكريم".
 - 3- هارون بن موسى الأعور توفي عام 170هـ. وله كتاب "الوجوه والنظائر في القرآن الكريم".
 - 4- يحيى بن سلام توفي عام 200هـ. وله كتاب "التصاريف" (تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه).
 - 5- أبو العباس المبرد³ وكتابه "ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد".
 - 6- الحكيم الترمذي توفي عام 320هـ. وله كتاب: "تحصيل نظائر القرآن".
 - 7- أحمد ابن فارس⁴ وكتابه "الأفراد".
 - 8- الثعالبي توفي عام 429هـ. وكتابه "الأشباه والنظائر".
 - 9- الحسين الدامغاني توفي عام 478هـ. وكتابه "الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز".
 - 10- عبد الرحمان بن الجوزي⁵ وكتابه "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر".
 - 11- الفيروز آبادي توفي عام 817هـ. وكتابه طبع باسم "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز".
 - 12- جلال الدين السيوطي توفي عام 911هـ. وله كتاب "معترك الأقران في مشترك القرآن".
- وغير ذلك من التأليف في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم. وتجدر الإشارة إلى أن كتاب "بصائر ذوي التمييز" يعده بعضهم تفسيراً مشتملاً على ألفاظ هذا العلم في بعض أبوابه، وليس كتاباً متخصصاً بهذا العلم.

3- نماذج من الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.

إن للوجوه والنظائر في القرآن نماذج وأمثلة، نشير إلى عيون منها ذكرها علماء هذا الفن.

¹ هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله المدني كان مولى ابن عباس توفي عام 105هـ. ينظر: ابن الزكي الكلبي، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1400هـ/1980م)، 158/13.

² هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي وقد سبقت ترجمته.

³ هو محمد بن يزيد المبرد توفي عام 286هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار الفكر، ط2، 1399هـ/1979م)، 271-269/1.

⁴ هو أبو الحسين أحمد بن فارس توفي عام 395هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، مصدر سابق، 352/1.

⁵ هو عبد الرحمان بن الجوزي وقد سبقت ترجمته.

أ- نماذج من الوجوه في القرآن الكريم.

حوى القرآن نماذج وأمثلة عن الوجوه -وهي الألفاظ المشتركة بين معان متعددة- نذكر عيوناً

منها:

1- لفظة " الهدى ": وتأتي على وجوه عدّ السيوطي منها سبعة عشر وجهاً ومنها¹:

- الثبات: قال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة: 6)
- البيان: قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (البقرة: 5)
- الدين: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ﴾ (آل عمران: 73)
- الإيمان: قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ (مريم: 76)
- الدعاء: قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (الرعد: 7) وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (الأنبياء: 73).

- الرسل والكتب: قال تعالى ﴿ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى ﴾ (البقرة: 38)
- المعرفة: قال تعالى: ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (النحل: 16)
- بمعنى النبي: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ﴾ (البقرة: 159)
- بمعنى القرآن: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمْ الْهُدَى ﴾ (النجم: 23).
- بمعنى التوراة: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى ﴾ (غافر: 53).

2- لفظة " الصلاة ": وتأتي على وجوه ذكرها ابن قتيبة وهي²:

- الدعاء: قال الله تعالى: ﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (التوبة: 103) أي: ادع لهم إن ذلك مما يسكنهم وتطمئن إليه قلوبهم.
- وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَواتِ الرَّسُولِ ﴾ (التوبة: 99) يعني: دعاءه.

¹ ينظر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مصدر سابق، 446/1، وينظر: مقاتل البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2008م/1429هـ)، ص 11 وما بعدها. وينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح: السيد أحمد صقر، (المكتبة العلمية، دط، دت)، ص 443 وما بعدها. وينظر أيضاً: الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق: عربي عبد الحميد علي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003م/1424هـ)، ص 455 وما بعدها. وينظر أيضاً: ابن الجوزي، نزهة الأعين والنواظر، مصدر سابق، ص 306 وما بعدها.

² ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق، ص 460 و 461. وينظر أيضاً: الدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 294 و 295. والسيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مصدر سابق، 448/1.

- الرحمة والمغفرة من الله: ¹ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: 56) وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ (الأحزاب: 43) وقال أيضا: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (البقرة: 157) أي: مغفرة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " اللهم صل على آل أبي أوفى " ² يريد: ارحمهم واغفر لهم .

- الدين: قال تعالى حكاية عن قوم شعيب: ﴿أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ (هود: 87)، ويقال: قراءتك ³.

- الصلوات الخمس: قال تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (البقرة: 03).

- صلاة العصر: قال تعالى: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ (المائدة: 84).

- صلاة الجمعة : قال تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ (الجمعة: 09).

- الجنابة: قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ (التوبة: 84).

- القراءة : قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ (الإسراء: 110)

3- لفظة " السوء " وتأتي على معان منها: ⁴

- الشدة: قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: 49).

- الزنا: قال تعالى: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ (يوسف: 25).

- البرص: قال تعالى: ﴿بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ (القصص: 32).

- العذاب: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَزْنَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (النحل: 27).

¹ جاء في اللسان: « الصلاة من الله تعالى: الرحمة قال عدي بن الرقاع:

صلى الإله على أمرء ودعته وأتم نعمته عليه وزادها

وقال الراعي (النميري):

صلى على عزة الرحمان وابنتها ليلي، وصلى على جاراتها الأخر». ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، 434/8. (ص لا)

² الإمام البخاري، الجامع الصحيح المسند المختصر، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، 408/1، رقم

1479. والإمام مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقته، (القاهرة: دار الغد الجديد، ط1، 1434هـ

2013م)، ص 360، رقم 176 - (1078).

³ قال ابن الجوزي في تفسيره "زاد المسير": «وفي المراد بصلواتك ثلاثة أقوال: أحدها: دينه، قاله عطاء. والثاني: قراءته، قاله الأعمش.

والثالث: أنها الصلوات المعروفة. وكان شعيب كثير الصلاة». ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط4،

1407هـ/1987م)، 4/149.

⁴ ينظر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، 447/1. وينظر أيضا: مقاتل البلخي، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص

21 وما بعدها. وأيضا: الدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 255 وما بعدها.

- الشرك : قال تعالى: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ (النحل: 28).

- الضر: قال تعالى: ﴿ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ (النمل: 62).

4- لفظة "الفتنة": وردت على أوجه منها ما ذكره ابن قتيبة وهي:¹

- الاختبار: يقال: فتنت الذهب في النار: إذا أدخلته إليها لتعلم جودته من رداءته، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (العنكبوت: 03) أي: اختبارناهم، وقال لموسى عليه السلام ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ (طه: 40) ومنه قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: 23) أي: جوابهم؛ لأنهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال، فلم يكن الجواب على ذلك الاختبار إلا هذا القول.

- التعذيب: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (البروج: 10) أي: عذبوهم بالنار، وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (الذاريات: 13) أي: يعذبون، وقوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ (الذاريات: 14) أي: يقال لهم: ذوقوا فتنتكم، يراد هذا العذاب بذاك.²

- الصد والاستزلال: قال تعالى: ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة: 49) أي: يصدونك ويستزلوك³، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (الإسراء: 73) وقال: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ما انتم عليه بفاتنين﴾ (الصافات: 162) أي: صادّين .

- الإشراك والكفر والإثم: قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ (البقرة: 193) و (الأنفال: 39) أي: شرك، وقال تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ (التوبة: 49) أي: الإثم وقال أيضا: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ (النور: 63) أي: كفر وإثم.

- العبرة: في مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس: 85) وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الممتحنة: 05) أي: يعتبرون أمرهم بأمرنا، فإذا رأونا في ضرّ وبلاء ورأوا أنفسهم في غبطة ورخاء ظنوا أنهم على حق، ونحن على باطل.

¹ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مرجع سابق، ص 472 وما بعدها. وينظر: الدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 364. السيوطي الاتفاق في علوم القرآن، مصدر سابق، 449/1. وعبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن - نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية - تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2002م) ص 301.

² ينظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، (بيروت: دار الفكر، د ط، 2010م - 1432/1431هـ)، ص 280 (ف ت ن).

³ قال الراغب الأصفهاني: «استزله إذا تحزى زلته». ينظر: معجم مفردات القرآن، مصدر سابق، ص 161.

- القتل: قال تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (النساء: 101).
 - القضاء: قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ (الأعراف: 155).
 - المرض: قال تعالى: ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾ (التوبة: 126).
 - الجنون: قال تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ (القلم: 06) والمعنى المجنون¹.
- 5- لفظة "الرحمة":** وردت على أوجه منها:²

- الإسلام: في قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (آل عمران: 74).
- الإيمان: في قوله تعالى: ﴿وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ (هود: 28).
- الجنة: في قوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران: 107).
- المطر: في قوله تعالى: ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (الأعراف: 57).
- النعمة: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ (النور: 10).
- النبوة: قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ (ص: 9).
- النصر والفتح: قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ (الأحزاب: 17).

ب- نماذج من النظائر في القرآن الكريم.

إن للألفاظ المتناظرة في المعنى في القرآن الكريم نماذج وأمثلة كثيرة بالرغم من تعدد ورودها وتباعده، نذكر منها - مما ورد في الإتيان للسيوطي - ما يلي:³

- 1- لفظة "الأسف":**⁴: كل ما في القرآن من ذكر الأسف، فمعناه الحزن إلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (الزخرف: 55) فمعناه: أغضبونا.

¹ ذكر ابن الجوزي في "تفسيره" أن المفتون «فيه أربعة أقوال: أحدها الضال، قاله الحسن. والثاني: الشيطان، قاله مجاهد والثالث: المجنون، قاله الضحاك. والمعنى: الذي قد فتن بالجنون. والرابع: المعذب، حكاه الماوردي». تفسير "زاد المسير"، مصدر سابق، 329/8.

² ينظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مصدر سابق، 448/1 و 449. وينظر أيضا: محمود محمد الطناحي، من أسرار اللغة في الكتاب والسنة - معجم لغوي ثقافي-، (مكة المكرمة: المكتبة المكية/عمان: دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 1428هـ/2008م)، 748/2 وما بعدها.

³ السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مصدر سابق، 452/1 وما بعدها.

⁴ ينظر: الدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 112. وأيضاً: ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، مصدر سابق، ص 16. وقال الراغب الأصفهاني: «الأسف: الحزن والغضب معا، وقد يقال لكل واحد منهما على الانفراد، وحقيقته ثوران دم القلب شهوة الانتقام،

2- لفظة "البُروج": وكل ما في القرآن من لفظة البروج، فهي الكواكب إلا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (النساء: 78)، فهي القصور الطوال الحصينة. غير أن الإمام الدامغاني أضاف إليها نظيراً آخر -وقد عده وجهاً- بحيث قال: «الوجه الثالث: التبرج، يعني التوسع، في قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الآية: 33) أي: لا تتوسعن في المشي»¹.

3- لفظة "البعل": كل ما في القرآن من البعل فهو الزوج إلا قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ (الصفات: 125) فهو الصنم².

4- لفظة "الرجز": كل ما في القرآن من "رجز" فالعذاب إلا ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: 05)، فالمراد به الصنم. ولكن ابن قتيبة وابن الجوزي أضافا نظيرا ثالثا: وهو الكيد، وقد نقل ابن الجوزي عن ابن قتيبة هذا الوجه، غير أن ابن قتيبة لم يذكر لفظة "الرجز" الذي بمعنى: "الصنم"³. هذا، ويعدّ بعض العلماء أن "الرجز" ليست أصلا في العربية، وإنما هو لغة في "الرجس"، وأصل المعنى: الاضطراب والحركة العنيفة والارتعاش، ومن ثم فقد جاء "الرجز" و "الرجس" في القرآن للعذاب⁴.

5- لفظة "حُسابان": ومعناها العدد إلا قوله تعالى: ﴿وَيُرْسَلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (الكهف: 40) فهو العذاب.

6- لفظة "الرجم": ومعناها القتل إلا ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم: 46) فمعناها: لأشتمنك، وقال ابن قتيبة «الرجم أصله الرمي كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك: 5) أي: مرامي، ثم يستعار فيوضع موضع القتل؛ لأنهم كانوا يقتلون بالرجم، وروي أن آدم قتل أخاه رجماً بالحجارة، فلما كان أول القتل كذلك، سمي رجماً وإن لم يكن

فمضى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضباً، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزناً» معجم مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص 17 و 18.

¹ ينظر: الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 116. وأيضاً: الراغب الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق، ص 36.

² ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق، ص 46. والدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 126. وابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، مصدر سابق، ص 68.

³ ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق، ص 471. وابن الجوزي، نزهة الأعين والنواظر، مصدر سابق، ص 135. والدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 246.

⁴ ينظر: الفراهي، مفردات القرآن، مرجع سابق، ص 355 و 356.

بالحجارة..ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُون﴾ (الدخان: 20) أي: تقتلون..ويوضع موضع الشتم؛ لأن الشتم رمي، ولذلك يقال: قذف فلان فلانا: إذا شتمه. وأصل القذف: الرمي..ويوضع موضع الظن؛ ومنه قوله تعالى: ﴿رَجِمًا بِالْغَيْبِ﴾ (الكهف: 22) أي: ظناً..والرجم: اللعن والطرْد: لعن، ومنه قيل: ذنب لعين: أي: طريد، وإنما قيل للشيطان: رجيم، أي: طريد، لأنه يُطرد برجم الكواكب»¹.

7- لفظة "القنوت": ومعناها الطاعة إلا في قوله تعالى: ﴿كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة: 116) فمعناه: مقرَّبون. وذكر ابن قتيبة² جملة من النظائر في هذا الموضع وهي: أن الصلاة سميت قنوتاً وبهذا المعنى وردت في الحديث الشريف: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم»³، ومنها القنوت: بمعنى: الدعاء، والقنوت بمعنى: الإمساك عن الكلام في الصلاة، والقنوت بمعنى: الإقرار بالعبودية، وإن كان ابن قتيبة في خاتمة كلامه هنا قال ما نصّه: «..ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة؛ لأن جميع هذه الخلال: من الصلاة، والقيام فيها، والدعاء وغير ذلك يكون عنها»⁴.

¹ ابن قتيبة، تأويل، مشكل القرآن، مصدر سابق، ص 508.

² ينظر: تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق، ص 451 و452. وينظر أيضاً: ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، مصدر سابق، ص 227 و228.

³ الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، ص 694، رقم 110. (1878)

⁴ ابن قتيبة، تأويل، مشكل القرآن، مصدر سابق، ص 508.

المبحث الثاني: مسائل البلاغة في بعض كتب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.

إن كتب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم تتشابه كثيرا من حيث منهجها في دراسة الألفاظ وترتيبها وتناولها، وإن كانت تتفاوت من حيث الاتساع والاختصار في المادة اللغوية؛ ففي الوقت الذي نلاحظ فيه مثلاً المبرد (285هـ)¹ والدامغاني (478هـ) إلى الاختصار والإجمال في كتابيهما، نجد أن ابن الجوزي (597هـ) غلب عليه التفصيل والشرح والتوسع في كتابه.

كما أن حضور المعطيات البلاغية في بيان أوجه دلالة اللفظة القرآنية كالجاز والعدول البلاغي وأسلوب الاختصار وغير ذلك من القضايا.. هي مما يمكن تسجيله والوقوف عنده في كتب الوجوه والنظائر، وإن كانت متفاوتة في توظيف هذه القضايا البلاغية في أثناء الدراسة.

ومما يمكن تسجيله في هذا الصدد أن كتاب "ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد" للمبرد، يُعدّ - بحق - دراسة رائدة ومهمة في مجال توظيف المعطيات البلاغية في بحث ألفاظ الوجوه والنظائر في القرآن، وإن كانت السمة الغالبة عليه هي الاختصار والإجمال مقارنة بكتب الوجوه والنظائر الأخرى. وعلى ذلك فإن تناولنا للمنهج البلاغي في دراسة الوجود والنظائر سننطلق فيه من عمل المبرد، ثم نتبع ألفاظ الوجوه والنظائر عند غيره من العلماء، وبخاصة كل من مقاتل البلخي (ت 150هـ) صاحب كتاب "الوجوه والنظائر في القرآن الكريم"، والدامغاني صاحب كتاب: "الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز"، وابن الجوزي صاحب كتاب "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"، مع الاستعانة والاستئناس ببعض كتب اللغة والتفسير وغيرها، مما يخدم الموضوع وأهدافه.

يقوم هيكل هذا المبحث على اختيار بعض ألفاظ الوجوه والنظائر وتتبع تناولها في الكتب المذكورة وغيرها، وتحليل طرائق توظيف الجانب البلاغي فيها، وأثر ذلك في تفسير ألفاظ الكتاب العزيز.

¹ هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الشمالي الأزدي عالم بالعربية والقرآن. تنظر ترجمة في: الفيزو آبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، اعتناء ومراجعة: بركات يوسف هبود (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 2001م/1422هـ)، ص 177. وينظر: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار الفكر، ط2، 1979م/1399هـ)، 269/1.

1- لفظة "وَجَدَ": إن للفظه "وجد" سياقات كلامية وبلاغية متعددة¹ فهي من الألفاظ المتعددة المعاني في كتاب الله عز وجل؛ فتأتي بمعنى: قرأ في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ (الكهف: 49)، أي: وقرأوا ما عملوا حاضرا يعني: مكتوباً². وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ (آل عمران: 30). يعني: تقرأ كل نفس. وتأتي لفظة "وجد" بمعنى: الرؤية³ كقوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (النساء: 89) يعني: رأيتموهم.

وتأتي بمعنى: الاستطاعة⁴ كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ (النساء: 92) يعني: فمن لم يستطع. كما ترد "وجد" بمعنى: عَلِمَ⁵ كقوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ (الأعراف: 102)، يعني: ما علمنا.

وتأتي "وجد" بمعنى: صادف⁶ كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ (القصص: 23)، أي: صادف من دونهن.

وهذان المعنيان الآخران أشار إليهما المبرد في كتابه من غير أن يذكر الشواهد على ذلك وهو قوله: «.. فنحو: وجدت شيئاً: إذا أردت وجدان الضالة.. ووجدت زيدا كريماً: علمت»⁷.

2- لفظة "ضَرَبَ": أورد المبرد⁸ -في كتابه- لفظة: "ضرب" والتي جاءت في السياق القرآني بمعناه ثلاثة وهي¹:

¹ ينظر: الدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 467.

² ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، مصدر سابق، 153/5.

³ ينظر: الدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 467.

⁴ ينظر: الدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 467.

⁵ ينظر: الزنجشيري، الكشف، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 2008م)، 100/2. وينظر: ابن هشام اللخمي، شرح الفصيح، تحقيق: د.مهدي عبيد جاسم، (العراق: دار الآثار والتراث، ط1، 1988)، ص 101.

⁶ ينظر: ابن هشام، شرح الفصيح، مصدر سابق، ص 101.

⁷ المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، تحقيق: د.أحمد محمد سليمان أبو رعد، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1988م)، ص 47 و 48.

⁸ جاء ذلك في صدر مؤلفه "ما اتفق لفظه واختلف معناه" حيث قال: «هذه حروف ألفناها من كتاب الله عز وجل، متفقة الألفاظ، مختلفة المعاني متقاربة في القول مختلفة في الخبر على ما يوجد في كلام العرب..» ما اتفق لفظه واختلف معناه، مصدر سابق، ص 47.

أولاً: السير: في قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (النساء: 94)
 الثاني: الضرب باليد: في مثل قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: 12).

وأما المعنى الثالث: فهو البيان في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (إبراهيم: 45).
 وقد وعى علماء الوجوه والنظائر أن اللفظة في القرآن - كما في العربية - لها معنى أساسي أسموه "أصلاً"، وقد تُنقل إلى معانٍ سياقية وكلامية أخرى، وعبروا عن ذلك بمصطلح: "الاستعارة"، قال ابن الجوزي حول لفظ "ضرب": الأصل في الضرب: الجلد بالسوط وما أشبهه، ثم نُقل بالاستعارة إلى مواضع فيقال: ضرب في الأرض: إذا سار. وفلان ضارب، أي: محترف. والضرب: الرجل الخفيف الجسم.. والضرب: الصنف من الأشياء، والضرب بتحريك الرء: العسل الغليظ...².

فهناك - إذن - معنى حقيقي، وباقي المعاني التي يُنقل إليها اللفظ هي معاني مجازي، تولدت بفعل دوران الكلمة في السياقات المختلفة. والذي يطفو في الشعور عند استعمال لفظة من ألفاظ الوجوه والنظائر، إنما هو معنى واحد من المعاني المتعددة، يعينه السياق القرآني، الذي يفرض قيمة واحدة على اللفظة في البيئة اللغوية المعينة، بالرغم من المعاني المختلفة التي في وسعها أن تدل عليها.

3- لفظة "الرجاء": قال المبرد «.. ومن ذلك الرجاء: يكون في معنى الخوف.. وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (نوح: 13) أي: لا تخافون لله عظمة»³. وذكر الدامغاني⁴ أن الرجاء يأتي بمعنى: الطمع أو الأمل في مثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ (البقرة: 218)، يعني: يطمعون في جنته.

وأقول: وإنما أوردنا هذا الكلام للمبرد للدلالة على أنه إنما قصد في كتابه جمع ألفاظ الوجوه والنظائر الواردة في القرآن، وإن لم يكن ملتزماً بإيراد الآيات القرآنية عند ذكر كل لفظة - كما فعل غيره من علماء الوجوه والنظائر - رغبة منه في اختصار كتابه والله أعلم.

¹ ينظر: المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، مصدر سابق، ص 48. وأيضاً: مقاتل البلخي، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 95. والدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 309. وابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، مصدر سابق، ص 183.

² ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، مصدر سابق، ص 183. ولمعرفة مزيد من المعاني الاستعارية للفظ "ضرب" ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، (بيروت: دار الفكر، د ط، 1420هـ/2000م)، ص 373 (ض ر ب).

³ المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، مصدر سابق، ص 52.

⁴ الدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 228 و 229.

هذا، وقد اتفق كل من مقاتل البلخي وابن الجوزي¹ على أن للفظه الرجاء وجهين أو دالتين في كتاب الله عز وجل، كما ألمح إلى ذلك المبرد أيضا بقوله وهو يتناول لفظه الرجاء: «.. وكل من أثر أن يقول ما يحتمل معنيين فواجب عليه أن يضع على ما يقصد له دليلا، لأن الكلام وُضع للفائدة والبيان»².

ولعل الذي يقصد المبرد بـ "الدليل" المطلوب الإتيان به في دراسة ألفاظ الوجوه والنظائر، هو توظيف جميع المعطيات، السياقية الداخلية والسياقية الخارجية في إثبات معنى معين للفظه القرآنية دون المعاني الأخرى التي ترد بها في كتاب الله عز وجل.

وإذا كانت المعطيات الداخلية هي الإمكانيات البلاغية اللغوية للفظه، والتي تتحدد من خلال البيئة اللغوية التي تظهر فيها، فإن المعطيات الخارجية هي: توظيف كلام العرب شعره ونثره وكذا الحديث النبوي، وغير ذلك مما يعين المعنى ويحدده بدقة، ويستبعد باقي المعاني الأخرى التي تكون للفظه في سياقات قرآنية أخرى، ومن أجل ذلك نجد أن معالم منهج المبرد في هذا الصدد هو استعانتها بما يمكن أن نسميه بالسياق الثقافي اللغوي -وهو كلام العرب وغيره- بهدف توجيه التفسير والاستدلال على معنى معين دون آخر.

4- **لفظة "الظن"**: ترواحت معاني لفظة الظن عند علماء الوجوه والنظائر بين ثلاثة معان كما عند مقاتل البلخي³؛ وهي الظن بمعنى: اليقين، والظن بمعنى: الشك، والظن بمعنى التهمة. ومن علماء الوجوه والنظائر من ذكر لها أربعة معان كما عند الدامغاني⁴؛ وهي: اليقين، والشك، وحسب، والتهمة.

وأما ابن الجوزي⁵ فقد ذكر لها معاني: الشك، واليقين، والتهمة، والحسبان. غير أن المبرد⁶ كان أكثرهم اختصارا بحيث حصر أوجه "ظن" في دالتين اثنتين فقط وهما: "اليقين" و "الشك" واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ

¹ ينظر: الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 59. ونزهة الأعين النواظر، مصدر سابق، ص 131 و132.

² ما اتفق لفظه واختلف معناه، مصدر سابق، ص 52.

³ ينظر: الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 158.

⁴ ينظر: الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 332.

⁵ ينظر: نزهة الأعين، النواظر، مصدر سابق، ص 196.

⁶ ينظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه، مصدر سابق، ص 53.

إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿البقرة: 78﴾ في معنى: الشك.. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ (البقرة: 46) في معنى: اليقين.

كما يقوم المبرد - في معرض استدلاله لمعنى الشك في "ظن" - بسوق وتوظيف المعلومات اللغوية المساعدة، وهي هنا آراء النحويين بحيث ذكر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ (الجاثية: 31)، أن للنحويين قولين في هذا الشاهد (القولان هما: الشك واليقين)، ووضح تقدير الآية في كل قول، وخلص إلى أن كلا القولين حسن، ولكنه نبه في الوقت ذاته على أن أكثر التفسير على القول الأول¹.

فمنهج المبرد هنا يقوم على الاختصار في إيراد المعاني المختلفة التي تكون للفظ في الوجوه والنظائر، بحيث يذكر الشائع منها والأكثر وروداً في كلام العرب، وباقي المعاني يمكن أن تُرد باللفظ والصنعة - بمصطلح ابن جني - إلى نظائرها الأكثر شيوعاً ودوراناً في القرآن والعربية.

5- لفظة "اعتدى": أورد المبرد في كتابه جملة من ألفاظ - منها اعتدى - متعددة اللفظ مختلفة المعنى² واعتبرها من ألفاظ الوجوه في القرآن الكريم، وإن كان الشرط لديه في هذه الاعتبار هو ضرورة ورودها في سياق لغوي وبلاغي واحد، فيخرج اللفظ - كما قال المبرد -: «كلفظ ما قبله، كقول العرب: "الجزء بالجزء" والأول ليس بجزء، وتقول: فعلت بفلان مثل ما فعل بي، أي: اقتصصت منه، والأول بدأ ظالماً، والمكافئ إنما أخذ حقه، فالفعالان متساويان والمخرجان متباينان، إذا كان الأول ظالماً، والثاني إنما أخذ حقه»³.

ففي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ (البقرة: 194) المعنى: فاقتصصوا منه. فالاعتداء الأول: ظلم والاعتداء الثاني: إنما هو اخذ للحق من الظالم. وهذا العدول البلاغي الأسلوبى يُستظرف ويُستحسن في مثل هذه المواضع لأنه تنبيه على مماثلة العمل بجزائه. قال القرطبي (671هـ) في سياق تفسيره للآية السابقة: «.. من قال في القرآن مجاز سمي هذا عدواناً على طريق المجاز ومقابلة الكلام بمثله»⁴.

¹ ينظر: تفصيل ذلك في: ما اتفق لفظه واختلف معناه، 54.

² يسمى علماء البلاغة هذا بالمشاكلة وهي: «ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا» الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، (بيروت: دار الجيل، د ط، د ت)، ص 198.

³ المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، مصدر سابق، ص 57.

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار الفكر، ط 1، 1428هـ/1429هـ، 2008م)، 236/1 و 237.

وقال ابن الجوزي: « وإنما سميت المقابلة على الاعتداء اعتداءً، لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية»¹.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى: 40)، قال المبرد: «والثانية ليست بسيئة تكتب على صاحبها، ولكنها مثلها في المكروه، لأن بالثاني يُقتص»². فالسيئة الثانية جاءت في غير موضعها فجزاء السيئة لا يسمى سيئة بل عقوبة وجزاء، فإذا كان التعليل عبّر عن الجزاء بالسيئة لأن السيئة سبب فيه، فهي من المجاز المرسل والعلاقة السببية، وإذا كان التعليل عبّر عن الجزاء بالسيئة لوقوعه في صحبتها (مجرد الصحبة) فهو من المشاكلة.³

ومن أمثلة الألفاظ المتحدة اللفظ المختلفة المعنى والتي ألحقها المبرد بألفاظ الوجوه والنظائر لفظة "يستَهْزئ" في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٤) ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة: 14-15). ففي (يستَهْزئ بهم) عدول بلاغي عن المعنى الأصلي لـ "يستَهْزئ" للدلالة على ما يقابل الله به استهزاء المشركين قال ابن الجوزي « المراد به يجازيهم على استهزائهم، فقول اللفظ بمثله لفظاً وإن خالفه معنى، فهو كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى: 40) وقوله: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: 194) ..»⁴.

ومن ذلك أيضاً⁵ ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ (الأنفال: 30) فلفظ "يمكرون" خصها السياق بالدلالة المعروفة، وهي "كل فعل يُقصد به ضررٌ أحد في هيئة تخفى عليه"⁶، وتتمثل هنا في ما قام به المشركون من أفعال، وما نسجوه من خطط، بقصد إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم قتلاً أو إخراجاً أو غير ذلك. وأما مكر الله بهم فهو تمثيل إخفاق الله عز وجل لمساعدتهم وانتصاره لنبيه وحفظه له، وبصُور لا يمكن أن تخطر للمشركين على بال.

¹ ابن الجوزي، زاد المسير، مصدر سابق، 202/1.

² المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، مصدر سابق، ص 57.

³ ينظر: عطية جمعة هارون هارون، البحث البياني في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 1433هـ - 2012م)، ص 319.

⁴ ابن الجوزي، زاد المسير، مصدر سابق، 36/1.

⁵ ينظر: المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، مصدر سابق، ص 58.

⁶ ينظر: المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، مصدر سابق، ص 58.

المبحث الثالث: الدلالة المجازية في ألفاظ الوجوه والنظائر في القرآن.

المجاز لغة: جاء من «جزت الطريق، وجاز الموضع جَوَزا وجَوَّوزا ومجازاً. وجاز به وجاوزه جوازاً وأجازه وأجاز غيره وجازه: سار فيه وسلكه وأجازه: خلّفه وقطعه، وأجازه: أنفذه»¹.

قال ابن قتيبة: «وللعرب المجازات في الكلام ومعناها: طرق القول ومآخذه. فيفها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكنية.. وبكل هذه المذاهب نزل القرآن»².

والمجاز هو استعمال اللفظة أو الكلمة «في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصحّ مع قرينة عدم إرادته»³.

وقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ الوجوه والنظائر بدلالات حقيقية ودلالات مجازية، شأنها في ذلك شأن ألفاظ جميع القرآن، والذي يهمننا في هذا الموضع هو تناول الدلالات المجازية لألفاظ الوجوه والنظائر وطرائق القرآن في توظيفها، من أجل تحقيق الفائدة والبيان وتقريب المعنى إلى الأذهان.

وستتناول في هذا المبحث بعضاً من ألفاظ الوجوه والنظائر التي استعملت القرآن الكريم استعمالاً مجازياً، ونستهدف من ذلك إلى الكشف عن الإمكانات البلاغية القرآنية، وما مدى تناول كتب "الوجوه والنظائر" لتلك الإمكانات والإشارة إلى تلك البلاغات.

1- لفظة "التفصيل": التفصيل لغة: «فصلته عن غيره فصلاً من باب ضرب: نَحَيْته أو قطعته فانفصل ومنه فصل الخصومات وهو الحكم بقطعها..»⁴.

وبهذا المعنى اللغوي أو المعنى الحقيقي ورد وجه من أوجه دلالة لفظة "التفصيل" في القرآن؛ فقد أجمعت كتب الوجوه والنظائر⁵ على أن لفظة "التفصيل" دلالتين: أحدهما: البينة أو التفريق ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعِيرُ﴾ (يوسف: 94) وقوله تعالى: ﴿لَيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ (المرسلات: 13) يعني: يوم البيان بين الخلائق فيقضى بينهم، فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير،

¹ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، 24/4.

² ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق، ص 20 و 21.

³ الخطيب القزويني، الإيضاح، مصدر سابق، ص 153.

⁴ الفيومي: المصباح المنير، (بيروت: دار الفكر، د ط، د ت)، ص 474.

⁵ ينظر: البلخي، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 113. والدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 146. وابن الجوزي، نزهة

الأعين النواظر، مصدر سابق، ص 81.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ (الأعراف: 133) أي: متفرقات، ونقل ابن الجوزي عن المفسرين قولهم: «كانت الآية تمكث من السبت إلى السبت، ثم يبقون عُقِيبَ رفعها شهرا في عافية، ثم تأتي الآية الأخرى»¹.

ثم نجد القرآن الكريم قد استعار لفظ "التفصيل" للدلالة على البيان والتوضيح في مثل قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (الإسراء: 12) يعني: بيناه تبيناً، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ (هود: 1) أي: بُيِّنَتْ.

فاستعمال "التفصيل" هنا بمعنى: البيان والتوضيح هو استعمال مجازي، وبينهما (التفصيل والتوضيح) علاقة لزوم ومثله إطلاق الإيضاح أو التوضيح على الإبانة، لأن أصل الإبانة القطع والفصل².

2- لفظة "التصريف": «الصرف ردّ الشيء عن وجهه، صرف يصرفه صرفاً فانصرف. وصارف نفسه عن الشيء صرفها عنه»³.

وردت لفظة التصريف في القرآن الكريم بدلالات مجازية شتى..منها الدلالة على تنويع الآيات القرآنية في أغراضها ومقاصدها بين الترغيب والترهيب، والإبانة والتوضيح للأحكام والمعالم الدالة على وحدانية الله عزّ وجلّ. كما سجلت كتب "الوجوه والنظائر" دلالات مجازية عدّة لللفظة "التصريف" منها: التوجيه، والتبيين، والتقسيم، والتلوين، والتقليب، والدفع، والعدول وغير ذلك.⁴ فمن أمثلة الدلالات المجازية لللفظة "التصريف" دلالة التبيين ومنها قوله تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ (طه: 113) أي: بيّنا ما فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب.⁵

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (الإسراء: 89) أي: وجهنا القول فيه بكل مثل يجب به الاعتبار؛ من الآيات والعبر والترغيب والترهيب، والأوامر والنواهي، وأقاصيص الأولين والجنة والنار والقيامة.⁶

¹ ابن الجوزي، زاد المسير، مصدر سابق، 251/3.

² ينظر: الفيومي، المصباح المنير، مصدر سابق، ص 70.

³ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، 593/5، (ص ر ف)

⁴ ينظر: تفصيل ذلك في: مقاتل البلخي، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 151 و 152. وأيضا: الدماغي، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 305 و 306.

⁵ ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، 114/6.

⁶ ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، 203/5.

والدلالة الحقيقية للتصريف هي - كما أسلفنا - ردّ الشيء عن وجهه، ثم استعمل القرآن الكريم هذا اللفظ للتعبير مجازيا عن التوضيح والتوجيه والعدول والتقسيم والتلوين، وقد جعل هذا الاستعمال القرآني من لفظه "التصريف" - ذات المعنى اللغوي المحدد - جعلها ذات إمكانات بلاغية كبيرة، واكتسبت بذلك حشداً فنياً هائلاً، مكّنها من التعبير عن محمولات دلالية جديدة لا عهد لها بها.

كما نجد الأسلوب القرآني أيضاً قد حوّل لفظة "التصريف" من الدلالة المادية الحسية - والظاهر أنها الأصل في الاستعمال والإطلاق - إلى الدلالة المعنوية المعقولة، خاصة لما أطلقها على تصريف الآيات - وهي شيء معنوي - بشرحها وتوضيحها وبيان ما فيها من أدلة وبراهين على قدرة الله تعالى ووحدانيته.

3- لفظة "الأخذ": الأصل في الأخذ: تناول الشيء باليد، قال ابن منظور: «الأخذ خلاف العطاء وهو أيضاً التناول، أخذت الشيء آخذه أخذاً: تناولته، وأخذه يأخذه أخذاً»¹ و«أخذه بيده: تناوله، والإخذ بالكسر: اسم منه..»².

هذا عن الدلالة الحقيقية الأصلية للفظ "الأخذ" في العربية، ولكن القرآن الكريم استعار هذه اللفظة للدلالة على جملة من المفاهيم الأخرى سجلتها كتب "الوجوه والنظائر"³، وهي: دلالة القبول: في مثل قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ (البقرة: 48). ودلالة الحبس: في مثل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَخِيذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ (يوسف: 76). دلالة العذاب: في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود: 102).

ودلالة القتل: في قوله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ (غافر: 05). دلالة الأسر: في مثل قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصُرُوا نَفْسَهُمْ﴾ (التوبة: 05).

¹ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، 846/2 (أ خ ذ).

² الفيومي، المصباح المنير، مصدر سابق، ص 6.

³ ينظر: مقاتل البلخي، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 107 و 108. وينظر: الدامغاني: الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 108 و 109. وينظر: ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، مصدر سابق، ص 39. وينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق، ص 502 و 503. وينظر: الطناحي، من أسرار اللغة في الكتاب والسنة، مرجع سابق، 72/1 و 73.

وقد يستعير القرآن الكريم لفظة "الأخذ" للدلالة على السلب والانتزاع في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ (الأنعام: 46)، قال ابن الجوزي: «أي: أذهبها»¹.

فالأخذ هنا مجاز في السلب والذهاب بالشيء لأن السلب من لوازم الأخذ بالنسبة للمأخوذ منه، فهو مجاز مرسل. قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ (الأنعام: 46) بـ«أن يصمكم ويعميكم (وختم على قلوبكم) بأن يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم»².

فالأخذ هنا: جاء للدلالة بالمجاز على الإصمام والإعماء للأسماع والأبصار وإبطال مفعولها ووظيفتها التي أراد الله لها أن تؤديها، بحيث تتعرف إليه وإلى شرعه وتدبر كتابه والانتفاع بما فيه.

كما أن "الأخذ" قد يحمل معنى مجازياً آخر هو الاستئصال في مثل قوله تعالى: ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ (الأنعام: 44)، قال القرطبي: «(أخذناهم بغتة) أي: استأصلناهم وسطونا بهم»³.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ (الأنعام: 42) نجد أن لفظة "أخذناهم" تحمل دلالة مجازية هي الابتلاء بالمصائب في الأنفس والأموال والأولاد؛ فانتقلت اللفظة بذلك من الدلالة على الأخذ باليد -وهي الدلالة الحقيقية- إلى دلالة مجازية أوسع وهي الدلالة على الإصابة⁴ بالمصائب والمكاره، الداخلية في الأنفس والخارجية في الأبدان والأموال وغيرها.

4- لفظة "الرؤية": أشار ابن الجوزي إلى أصل "الرؤية" فقال: «إدراك المرئي بالعين، والرواء: حسن المنظر.. وتقول: رأيت الشيء رؤية..»⁵.

¹ ابن الجوزي، زاد المسير، مصدر سابق، 41/3.

² الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص 19/2.

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، 225/3.

⁴ ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، مصدر سابق، ص 138.

⁵ ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، مصدر سابق، ص 138.

وفي اللسان: «الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين. وقال ابن سيدة: الرؤية بالعين والقلب»¹.

ذكرت كتب "الوجوه والنظائر" عدة أوجه ودلالات للفظ "الرؤية" في القرآن الكريم بحيث عدّها ابن الجوزي ستة وجوه² وهي:

- النظر والمعاينة: في مثل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ (الزمر: 60).

- العلم: في مثل قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (سبأ: 06).

- الاعتبار: ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ (النحل: 79).

- السماع: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (الأنعام: 68).

- التعجب: ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ (النساء: 49)، أي: أَلَمْ تَعْجَب.

- الإخبار: ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (البقرة: 258).

تراوحت دلالة لفظ "الرؤية" في القرآن الكريم بين الدلالة على الرؤية البصرية أو المعاينة وبين الدلالة بهذه اللفظة على سائر المعاني المذكورة، وقد سجلت كتب الوجوه والنظائر هذه الاستعمالات القرآنية التي جعلت من لفظ "الرؤية" وما يشتق منها مادة لغوية لها محمولات دلالية ومفهومية كثيرة.

ولكن الذي أراه أن للفظ "الرؤية" دالتين حقيقتين هما: الرؤية البصرية (المعاينة) والرؤية القلبية (العلم) اعتماداً على ما ورد في معاجم وكتب اللغة. فقد مرّ بنا تعريف ابن منظور الذي جمع فيه بين الرؤية بالعين والرؤية بمعنى العلم، بل ونقل عن ابن سيدة قوله: "الرؤية بالعين

¹ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، 273/8 (ر أ ي).

² ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، مصدر سابق، ص 138 وما بعدها، وقد ذكر كل من مقاتل البلخي والدامغاني عدداً أقل من هذه الوجوه. ينظر: مقاتل البلخي، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 98 و 99، والدامغاني، الوجوه والنظائر، مصدر سابق، ص 244 و 245.

والقلب"، وعلى ذلك فإن الدلالة الحقيقية (الأصلية) للفظـة "الرؤىة" هي: الرؤىة بالعين وكذا الرؤىة بالقلب أو العلم.

كما يمكن القول أيضا -وتبعاً للكلام السابق- أنه وإن كانت الدلالات الأخرى (الاعتبار، السماع، التعجب، الإخبار) هي دلالات مجازية أفادت بها لفظـة "الرؤىة" معان جديدة إلا أنها في الواقع يمكن أن تُلحق بدلالة "العلم". وقد أخبر ابن الجوزي¹ بأن من علماء "الوجوه والنظائر" من ألحق دلالة "الإخبار" ودلالة "التعجب" بدلالة العلم.

وذكر ابن قتيبة² أن دلالة "الرؤىة" في القرآن الكريم تدل -أكثر ما تدل- على الإخبار، ويقصد بذلك العلم وما يتعلق به.

ومهما يكن من أمر، فإن دلالة "الرؤىة" في القرآن الكريم لها أفق أسلوبى وبلاغى هائل، تستوعب معه جميع المحمولات الدلالية الشرعية المراد التعبير عنها، وتقريرها في الأذهان والقلوب. خاتمة.

كانت الرحلة مع اللغة والبلاغة في كتب الوجوه والنظائر كثيرة الفوائد والفرائد، إنها رحلة كشفت عن بعض الجوانب البلاغية في عينة من كتب "الوجوه والنظائر". وبعد مدارستنا لتلك الجوانب البلاغية في دراسة ألفاظ الوجوه والنظائر، يمكننا أن نخلص إلى جملة نتائج محدّدة:

- 1- إن لمعرفة "الوجوه والنظائر" في القرآن الكريم أهمية جليّة، وهي الوقوف على مدى سعة معاني القرآن الكريم ومعرفة بديع التناسب الموجود بين الألفاظ وسياقاتها (الآيات) فيه.
- 2- التدرّب على الاستنتاج والاستنباط وربط "الوجوه والنظائر" بأمثالها من المعاني والألفاظ، حينما يصادف القارئ لكتاب الله تعالى "الوجوه المتعددة التي يدل عليها اللفظ الواحد".
- 3- وظّفت بعض كتب "الوجوه والنظائر" المعارف البلاغية وجعلت منها منهجاً في دراسة الألفاظ القرآنية، في نحو ما فعل المبرّد على وجه الخصوص، وإن كان الهدف العام من جمع تلك الألفاظ في كتب "الوجوه والنظائر" هو حصرها وذكر السياقات (الآيات) القرآنية التي اشتملت عليها.

¹ ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، مصدر سابق، ص 139.

² ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق، ص 499.

4- نصّت أكثر كتب "الوجوه والنظائر" على التحوّلات الدلالية لألفاظ "الوجوه والنظائر" في القرآن، وذكرت سياقاتها القرآنية، وكشفت عن محمولاتها البلاغية واللغوية الجديدة.. حين انتقلت من الدلالة الحقيقية الأصلية إلى الدلالة المجازية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)، الجامع الصحيح المسند المختصر، القاهرة، مؤسسة زاد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1434هـ-2012م.
2. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي (ت 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، 1407هـ-1987م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م.
3. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله الملقب بـكاتب جلي (ت 1068هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار صادر، د ط، 1390هـ.
4. الخطيب القزويني، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان (ت 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دار الجيل، د ت، د ت.
5. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 681هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د ط، 1390هـ.
6. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 321هـ)، جمهرة اللغة، الهند، دائرة المعارف الإسلامية، د ط، د ت.
7. الدماغي، أبو عبد الله الحسين بن محمد (ت 478هـ)، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق: عربي عبد الحميد علي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2002م-1424هـ.
8. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 403هـ)، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر، د ط، 1432/1431-2010م.
9. الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1376هـ.
- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، خرّج حديثه وقدم له: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الفكر، د ط، 1429هـ/1430هـ-2009م.
10. ابن الزكي الحلبي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي (ت 742هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، 1400هـ-1980م.
11. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ)، أساس البلاغة، بيروت، دار الفكر، د ط، 1420هـ-2000م.

- الرمحشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، بيروت، دار الفكر، د ط، 1428/1429-2008م.
12. السيوطي، أبو بكر عبد الرحمان بن الكمال (ت 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، القاهرة، دار الحديث، د ط، 1427هـ-2006م.
- السيوطي، أبو بكر عبد الرحمان بن الكمال، بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة، تحقيق: محمد أو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1399هـ، 1979م.
13. الطناحي، محمود محمد (دكتور) (ت 1999م)، من أسرار اللغة في الكتاب والسنة —معجم لغوي ثقافي—، مكة المكرمة، المكتبة المكية/عمان، دار الفتح للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1428هـ-2008م.
14. الفراهي، عبد الحميد، (ت 1349هـ)، مفردات القرآن —نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية— تحقيق: الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2002م.
15. الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ) البلغة في تاريخ أئمة اللغة، إعتناء ومراجعة: بركات يوسف هبود، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 2001م-1422هـ.
16. الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، دار الفكر، د ط، د ت.
17. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ضبط ومراجعة: محمد صدقي العطار وتخرج للحديث: الشيخ عرفان الدمشقي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1428هـ/1429-2008م.
18. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)، تأويل مشكل القرآن، شرح: السيد أحمد صقر، بيروت، المكتبة العصرية، د ط، د ت.
19. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ)، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، دراسة وتحقيق: دكتور أحمد محمد سليمان أبو رعد، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلسلة الرسائل التراثية، الطبعة الأولى، 1989م-1409هـ.
20. مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261هـ)، الصحيح، القاهرة، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، 1434هـ-2013م.
21. مقاتل البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان (ت 150هـ) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2008م-1429هـ.
22. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، تحقيق وتعليق: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1426هـ-2005م.
23. هارون، عطية جمعة هارون (دكتور)، البحث البياني في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، القاهرة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، 2012م.

24. ابن هشام، اللخمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 577هـ)، شرح الفصيح لثعلب، تحقيق: د. مهدي عبيد جاسم، العراق، دار الآثار والتراث، الطبعة الأولى، 1988م.